العدد: 01 المجلد: 09 ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973

العلامة و التأويل لدى بيرس
Sing and Hermeutics of Pierce

كريمة بلخامسة
جامعة بجاية

الملخص:

سنعمل في هذا البحث على تتبع فعل الدلالة و التأويل في **نظرية بيرس**، وتحديد ميكانيزمات اشتغالهما، والتعريف بخصوصياتهما ، خاصة وأنّ **بيرس** لم يضع نظرية في التأويل بالمفهوم المباشر للموضوع، بل تعدّ **السيميوزيس** (نظرية العلامات)البيرسية بمثابة نسيج من الأدلة التي تحيل على أدلة أخرى، بطريقة تراجعية غير منتهية وتقوم على المؤوّل كأساس محوري تنبني عليها العلامة، وهو لا يقصد منه الدلالة البسيطة، بل هو لحظة تفكير تنطلق من مقدمات منطقية، وتصبح الدلالة في حاجة دائمة إلى الفهم بطريقة دلالية.

من هذا المنطلق نتساءل عن كيفية انبناء فعل الدلالة و التأويل في **نظرية بيرس**، وما هي خصوصياتهما؟ وما وظيفتهما في تحليل الخطاب الإنساني ؟ وهل يتجلى فعل التأويل في بنية العلامة عند **بيرس** ؟ وإلى أيّ مدى يمكننا استثمار **التأويل البيرسي** في بناء الدلالة في التجربة الإنسانية ؟ وهل يتجاوب مفهوما تشكّل الدلالة والتأويل في **نظرية بيرس** مع الاتجاهات الأخرى؟

الملخص بالانجليزية:

In this research, we will follow the signifier and hermeneutics act of Pierce's theory, determine the mechanics of their operation, and define their specificities, especially since Pierce did not put the theory of hermeneutics in the direct concept of the subject, but rather the semiosis (theory of signs) of Pierce is as a fabric of signifiers refer to other in unfinished regression, and the interpreter is as the pivotal basis upon which the sign is based, it's not intent for simple signifier, but rather a moment of reflection based on logical introductions, and this signifier is constantly needs to be semantic understanding.

From this points of view we wonder how we built the act of signifier and hermeneutics in the Pierce's theory, and what are their specificities? What is their function in the analysis of human discourse? Is the act of hermeneutics, at Pierce, reflected in the structure of signs? What extent can we use this hermeneutics in constructing signifier in the human experience? Does the concept of signifier and hermeneutics of Pierce's theory respond to other trends?

الكلمات المفاتيح:

Signifier, the semiosis, semantic, theory of signs, hermeneutics

- **حركيّة العلامة و الدلالة:**

تعدُّ **نظرية بيرس** في العلامة صورة لنظام إنتاج الدلالة، ونمط تداولها. إنها تساؤل حول المعنى وميكانيزمات اشتغاله، وأشكال تجليه وشروط إنتاجه، « وبعبارة أخرى إنها تصور متكامل للعالم إنها تجعل من الإنسان علامة وتجعل منه صانعاً للعلامة وتقدمه بوصفها ضحية لها في نفس الآن. فالإنسان هو المنتج للسلوك الفردي وهو الذي يحوّل هذا السلوك إلى قاعدة جماعية؛ أي يجعل منه عادة تشتغل كنموذج يحكم السلوك الفردي. وهذه العادة هي ما يستمر في الحياة بعد موت العلامة. إنها ولادة جديدة: ولادة القيم الاجتماعية وشهادة على نموها واضمحلالها أي موتها، لتولد من تحت أنقاضها قيم جديدة »[1].

ولهذا لا يمكن - حسب **بيرس** - البحث عن المعنى، ولا يمكن أن نفكر فيه دون العلامة، فالمعنى يكمن في العلامة، وهذه الأخيرة هي وحدها السبيل إلى إنتاج الدلالة وتداولها. يذهب **بيرس**، في رسائله إلى **الليدي**:« لم أستطع أبداً دراسة أي شيء؛ رياضيات، أخلاق، ميتافيزيقا، جاذبية دينامية الحرارة، بصريات، كيمياء، علم التشريع المقارن، علم الفلك، علم النفس، صوتيات، اقتصاد، تاريخ العلوم، لعبة الورق، رجال ونساء، خمور، قياسة، إلاّ وفق الدراسة السيميوطيقية »[2].

ويتضح من هنا هذا الأساس الفلسفي الذي يؤطر **التفكير البورسي**، حيث يطابق **بيرس** بين **السيميائيات والمنطق**، ف « **المنطق في معناه العام، ليس سوى تسمية أخرى للسميائيات** »[3]. لهذا يذهب **دولودال** في **نظرية بيرس** في العلامات « إذا كان من الممكن تطبيقها باعتبارها نظاماً قائم الذات دون الأخذ بعين الاعتبار الفلسفة التي تضمنتها، فإننا نخشى، إن تم تأويلها باستقلالٍ عن هذه الفلسفة، أن نسيء فهم معنى دلالة هذا النظام ومفاهيمه وإجراءاته.

وهكذا يؤسس **بيرس** في نظريته سنداً فلسفياً متميزاً يؤطر عالمه العلاماتي، وهو ما سماه بـ **الفانيروسكوبا** (**la phanéroscopie**) التي هي دراسة الظواهر؛ أي مجموع ما يظهر

ويقول: «الظاهراتية (**la phanéroscopie**) هي وصف الظاهرة، وأعني بالظاهرة : الكلية الجماعية لكل ما هو حاضر في الذهن بطريقة ما، أو بأي معنى، دون اعتبار ما إذا كان هذا مناسباً لشيء واقعي أم لا. وإذا سألتم : متى حضر ؟ وفي ذهن من ؟ أجيب بأنني أترك هذين السؤالين دون جواب، دون أن ينتابني شك أبداً في أن سمات الظاهرة التي وجدتها في ذهني حاضرة في كل زمان وفي كل الأذهان...»[4].

غير أن **نظرية بيرس** لا يمكن فهمها في عمقها وسعتها إلاّ عبر المراحل التطورية الثلاث التي عرفتها وهي:

«- مرحلة الاستلهام من الكانطية، وهي المرحلة المتميزة بمراجعة **المقولات الكانطية** في سياق منطقي أرسطي ثنائي.

- مرحلة منطقية صرفة : وفيها يقترح "**بيرس**" تعويض المنطق الأرسطي بمنطق العلاقات، هذا ألخير الذي سيصبح مرتكزاً لتصوره الثلاثي لمراتب العلامة.

- مرحلة سيميوطيقية؛ وفي هذه المرحلة سيطوّر **بيرس** نظريته الجديدة حول مراتب العلامة..»[5].

ويتبيّن من خلال هذا المسار التطوري أنه لا يمكن فصل **نظرية بيرس** عن الفلسفة، وإنّ كل محاولة لتطبيقها خارج إطارها الفلسفي، ودون مراعاة البعد الظاهراتي، سيحملنا بالضرورة إلى الوقوع في مزالق الفهم الناقص، أو الجزئي للدلالة وحمولة النظام الذي تشكله ، ونسيء فهم معنى ودلالة هذا النظام ومفاهيمه[6].

ومن هنا يقول **بيرس**:« إنّ على الباحث أن يجتهد لتجنب التأثر بالتقليد والسلطة والأسباب التي تقوده إلى افتراض ما يجب أن تكون عليه الوقائع... وعليه يكتفي بالملاحظة الأمينة والمستمرة للمظاهر..»[7].

ينطلق **بيرس**، ويضع مقولات الوجود التي تعتبر الأرضية والأساس المحوري الذي تقوم عليه عناصر العلامة عنده، ويقول بهذا الصدد : « رأي أن هناك ثلاث صيغ للوجود، وأجزم أنه بإمكاننا رؤيتها مباشرة في عناصر كل ما هو حاضر في الذهن في أي وقت بطريقة أو بأخرى. هذه الصيغ هي: وجود الإمكان الكيفي الموضوعي، وجود الواقع الفعلي المتجسد، ووجود القانون الذي سيحكم الوقائع في المستقبل...» [8].

يمرّ التصوّر **البيرسي** للعلامة عبر استيعاب تقسيمه لمقولات الوجود، وتعريفه للعلامة وهو بمثابة الوجه المرئي لقاعدة فلسفية ثرية فالتجربة الإنسانية كلها كياناً منظماً من خلال مقولات ثلاث هي: الأصل والمنطق في إدراك الكون وإدراك الذات، وإنتاج المعرفة وتداولها.

ويشكل المبدأ الثلاثي النقطة المحورية التي ستشكل عمق السيّرورة المنتجة للإدراك والفهم والتواصل الإنساني، من هنا يبني "**بيرس**" تصوره انطلاقاً من « مسلّمة يطلق عليها البروتوكول الرياضي وفقه يتحدد كل نسق باعتباره كياناً ثلاثياً، ولا يمكن أن يكون إلاّ ثلاثياً »[9]. حيث يكون الوجود الأول باعتباره نوعيات وأحاسيس، ويكتفي بذاته. أما الثاني فيتخذ شكل مجموعة من الوقائع المتحققة فعلياً، أما مع الثالث فإن الوجود يتحوّل إلى سلسلة من القوانين والقواعد؛ أي يصبح مجموعة من المفاهيم التي من خلالها نتمثل الكون كفكر وقانون.

- **مقولات الوجود**:

- **الأولانية (Priméité)**: هي نمط الوجود الذي يقوم على واقع كون موضوع / ذات (**Sujet**) هي موضوعياً كما هي، دون اعتبار أي شيء آخر، إنها وجود الشيء أو الذات في ذاتها خارج أي سياق بتعبير آخر فإنّ " **الأولانية**" تحيل على سلسلة من الأحاسيس والنوعيات المنظور إليها في ذاتها. إنها تحديد للكينونة في طابعها المباشر دون أية علاقة مهما كان نوعها مع أي شيء آخر، ينتهي "**بيرس**" إلى أن : «نمط من الوجود يتحدد في كون شيء كما هو إيجابياً دون اعتبار لشيء آخر»[10].

- **الثانيانية (Secondéité)** : هي الوجود الواقعي المتجسد، ويتعلق بعالم الموجودات، فهي نمط وجود الشيء في ذاته، وفي علاقته مع شيء ثان، دون الأخذ بعين الاعتبار لشيء ثالث مهما كان.

- **الثالثانية (Tiercété)** : هي نمط الوجود المتوقع، بناء على كون الحدث أو الشيء المتوقع الوجود محكوماً بقانون يضبطه، فلا يمكن للأول أن يحيل على الثاني، إلاّ من خلال وجود عنصر ثالث يربط بينهما، ويضعهما في علاقة. فهي نظام القانون والقاعدة.

يصوغ **"بيرس"** هذه السيّرورة الثلاثية للوجود على الشكل التالي : أول يحيل على ثان عبر ثالث، فيمكن القول إن التجربة الإنسانية في تشعبها، وتنوعها لا يمكن أن تدرك إلاّ باعتبارها تداخلاً لمستويات ثلاثة هي ما تعبّر عنها المقولات السابقة، و بعبارة أخرى، فإنّ هذه التجربة تدرك في حالة الإمكان، والتجربة المستجدة في وقائع، والتجربة حين يتم استيعابها بصفتها قانوناً وفكراً وضرورة.

وعلى هذا الأساس، وانطلاقاً من **مقولات الوجود الفانوروسكوبية**، يبني**"بيرس"** نظريته للعلامة ، وتشتغل العلامة وفق نفس المبدأ الثلاثية.[11]

- **لعبة العلامة والدلالة لدى بيرس:**

إن التجربة الإنسانية لا يمكن أن تقوم إلاّ من خلال العلامة، فالكون في تصور بورس يمثل أمامنا باعتباره شبكة غير محدودة من العلامات. فكل شيء يشتغل كعلامة، ويدلّ باعتباره علامة، ويدرك بصفته علامة أيضاً. ولإدراك هذا الترابط الوثيق بين فعل الإدراك كما تصفه المقولات، وبين الشكل الوجودي للعلامة، والكشف عن نمط اشتغالها ، لا بد من تحديد عناصرها وموقع كل عنصر داخل عملية إنتاج الدلالة.

الماثول* **Représentamen** : هي شيء ما يحل محل شيء ما، أو هو عبارة عن شيء يعوض شيئاً آخر وفق علاقات معيّنة؛ أي إنها تخلق في ذهن هذا الشخص علامة معادلة أو علامة أو دليلاً متطوراً عليه. وأطلق على هذه العلامة التي يخلقها في الذهن مصطلح المؤول. ولا يتعلق هذا

الدليل بموضوعه تعلقاً يطال كل العلاقات، ولكن يتسنى له ذلك كونه مرجعاً لفكرة معيّنة أطلق عليها عماد **الماثول**، أو الأساس أو الركيزة (**Fondement**)[12].

ويستنتج "**دولودال**" من هذا الكلام سعة منظور "**بيرس**" في البحث السيميائي ليشمل المنطق والنحو النظري والبلاغة الخالصة، فالمنطق يرمي إلى تشييد علم صوري لشروط الحقيقة في حالة تمثلها، والغاية من وراء اهتمام "**بيرس**" بالنحو النظري تعود إلى أن هذا الفن يتجه نحو اكتشاف ما هو حقيقي في الماثول، المستثمر من قبل كل فكر علمي كي يتسنى له احتواء دلالة ما، أما البلاغة اكتشاف القوانين التي بموجبها تولّد علامةٌ علامةً أخرى؛ أي معرفة الكيفية التي تنتج بها فكرة معيّنة مغايرة.

- **الموضوع**: هو ما يقوم الماثول بتمثيله ، سواء أكان هذا الشيء الممثل واقعياً، أم متخيّلاً ،أم قابلاً للتخيّل. ينتهي "**بيرس**" :« إنّ موضوع العلامة هو المعرفة تفترضها العلامة لكي تأتي بمعلومات إضافية تخص هذا الموضوع »[13].

والموضوع هو كل ما يتعرفه الدليل لأنه لا يمكن أن يعيّن موضوعاً غير معروف، وإن كان غير محدد. والسبب في ذلك هو أنه إذا لم تكن له أية معرفة بالموضوع في هذه اللحظة بالذات فلن يستطيع امتلاك الأفكار التي يتوسل بها ليوجه انتباهه نحو الموضوع المعيّن بنفسه.

كما يذهب "**بيرس**" **إلى أن** كل موضوع تجربة يستدعي فكرة ويثيرها بطريقة ما، وإن لم تكن هذه الفكرة مرتبطة كفاية، وبطريقة سليمة بتجربة سابقة قادرة على توجيه الانتباه، فلن تكتسب صورة دليل (**ممثل**)[14].نشير هنا إلى أن الموضوع داخل إحالات "**السيميوز**" لا يمكن أن ينفصل عن عملية التواصل نفسها، فالمرسل والمتلقي يشترط فيهما امتلاك معرفة سابقة عن موضوع ما لكي تتم العملية التواصلية.

ويحملنا هذا إلى البحث في طبيعة الموضوع. والسؤال هو: هل يعيّن الموضوع شيئاً ما في العالم الخارجي، أم هو مجرد مضمون ذهني لا مقابل له في الواقع ؟ وفي ضوء هذا يمكن التمييز

بين معرفة مباشرة معطاة مع الفعل المباشر للعلامة، وأخرى غير مباشرة تدرك من خلال ما هو مفترض داخل العلامة؛ أي من خلال السياق البعيد للعلامة.

وبناءً عليه، يمكن حسب "**بيرس**" أن نحدد نوعين من الموضوعات؛ فالموضوع المباشر هو معطى داخل العلامة، ويدرك بشكل مباشر أما الموضوع الديناميكي فهو ضمني ومعطى بطريقة غي مباشرة. إنه حصيلة سيّرورة سميائية سابقة (التجربة الضمنية).

المؤوّل: هو العنصر الذي يربط **الماثول Représentamen** بموضوعه، وهو الذي يحدد للعلامة صحتها، ويضعها للتداول كواقعة إبلاغية تواصلية. فهو الشرط الضروري لاشتغال **السميوز**. ولا يتوقف **جيرار دولودال** هنا من التذكير بأنّ المؤول الذي ذكره بورس في منظومته لا يقصد منه ذاتاً تؤول « لأن المؤول عبارة عن دليل وليس شخصية ما »[15].

وتقوم عملية الإحالة على الموضوع وفق قانون، فالعملية ليست اعتباطية، فكل تأويل يتم داخل دائرة ثقافية محددة، وبهذا « فالمؤول ليس حرا في تأويله، إنه يترجم إلى لغة معيّنة ما قيل في لغة أخرى ».

إن مستويات الإدراك دفعت "**بيرس**" إلى التمييز بين ثلاثة أنواع للمؤول:

* **المؤول المباشر** : هو المؤول الذي يتم الكشف عنه من خلال إدراك العلامة نفسها ، فهو لا يرى إلاّ الموضوع المباشر « إنّ المؤول المباشر هو متضمن في كون كل علامة ينبغي أن تكون لها تأويليتها الخاصة قبل أن يكون لها الشخص الذي يؤول...»[16].

* **المؤول الدينامي** : هو الأثر الذي تولّده العلامة بشكل فعلي في الذهن. ففي حالة كون الموضوع ديناميا، فإنّ **المؤول الدينامي** يبحث عن معلوماته في السياق نفسه للموضوع، كيفما كان حجم هذه المعلومات، فهو إذن قراءة في السياق الاجتماعي الخارجي أو التاريخي (السابق) أو فيهما معاً.

* **المؤول النهائي** : ويعتبر مؤولاً نسقياً (**Systématique**)، ويمكن أن يأخذ ثلاثة أشكال، وذلك بحسب الطريقة التي توصلنا إلى نسق التأويل. إما عن طريق **الإبعاد** (**Abduction**)، أو **الاستقراء** (**Induction**)، أو **الاستنباط**. ففي الحالة الأولى يشكل المؤول النهائي عادة عامة في تأويل العلامات في زمن ومحيط معيّنين، وهي عادة نحصل عليها بالتجربة؛ وهي جماعية أكثر مما هي فردية. أما **المؤول النهائي** الثاني فهو عادة خاصة (**المظهر المخصص**) عكس الأول فهو عام. بينما **المؤول النهائي** الثالث فهو مفصول عن أي سياق ، ويوجد خارج أي تحديد، ولا يحتاج إلى أية تجربة لكي يوجد، إنه **استنباطي**[17].

هكذا، فالتحليل العلامي لدى "**بيرس**" يقوم على أساس زمر أو مجموعات من العلامات – لوحات، صور، ملصقات، نصوص، أنساق علامية (**إشارات طرقية، إشعارية**) وغير ذلك - وذلك عن طريق وصفها في البداية باعتبارها ممثلات، ثم ربطها بموضوعات بعد أن تكون قد أعطيناها مؤولات، وهكذا تتم حركة تحليل العلامة التي هي علامة ثلاثية، تبدأ من **الماثول** (الممثل) نحو **الموضوع** ، مروراً **بالمؤول**.

*** التأويل وانفتاح السيميوزيس (العلامة):**

يمكن النظر إلى حركة **السيميوزيس** لدى "**بيرس**" باعتبارها نظرية في التأويل، بحيث تقوم العلامة على ثلاثية تشكل في تضافر عناصرها سلسلة من الدلالات اللامتناهية، وتفترض أنّ سلسلة الإحالات لا يمكن أن تتوقف نظرياً عند نقطة محددة، فالماثول يحيل على موضوع آخر عبر مؤول جديد، وهكذا إلى ما لانهاية من الإحالات المتولّدة عن عملية التمثيل التي تقوم بها العلامة. فكل إحالة تستدعي إحالة إضافية، وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية.

« ورغم ذلك فإنّ "**بيرس**" لم يكن قطعياً في تصوراته، فسلسلة الإحالات التي لا تنتهي عند حدّ بعينه هي هروب من المعنى، والهروب من المعنى كاللهاث وراءه، فلا أمل إذن في الخروج من دائرة المعنى، ولا أمل في الوصول إلى معنى كلّي ونهائي »[18].

من هنا، كانت الدلالة لدى "**بيرس**" لا متناهية، فالعلامة لا تُحيل على موضوع فحسب، إنها بالإضافة إلى ذلك تكشف عن معرفة جديدة. ولأنّ الموضوع هو أصل الإحالة، فإنه يتجاوز العلامة في الوجود وفي التمثيل. فلا يمكن لفعل التمثيل الذي يمارسه **الماثول** أن يستوعب كل المظاهر المعرفية التي يشملها الموضوع من خلال إحالة واحدة.

إنّ العلامة، وفق هذا التصوّر، لا تنتج دلالة أحادية مكتفية بذاتها ترتاح إليها الذات ، بل تولد سيرورة تدليلية بالغة المعنى والتنوع[19]. يخلص "**بيرس**" في طرحه:« إن **السيميوز** في هروبها اللامتناهي من علامة إلى علامة ومن توسط إلى توسط، تتوقف لحظة انصهارها في العادة ، لحظتها تبدأ الحياة ويبدأ الفعل »[20].

لقد أثارت قضية الإحالات اللامتناهية لدى "**بيرس**" كثيراً من النقاش والجدل بين الباحثين والنقاد في مجال التأويل. فقد رفض "**بنفنيست** " (**Benveniste**) التصوّر **البيرسي** كلية، وعدّه نوعاً من المضاربة الفكرية التي لا تؤدي إلى أي نتيجة. ويذهب إلى أنه لا يمكن لهذا النسق الذي يرى في العلامة أساس العالم كله، أن يكون منطلقاً صلباً لسيرورة تدليلية تنتهي إلى إنتاج دلالات، وهي ما يشكل الغاية النهائية من وجود أي نسق. فما دام الأول يحيل على الثاني عبر ثالث هو نفسه قابل لأنْ يتحوّل إلى أول يحيل على ثان عبر ثالث جديد، فإنّ إمكانية اكتفاء العلامة بذاتها أمر مستحيل « فلِكيْ لا تندثر العلامة داخل هذا التوالد اللامتناهي، يجب الإقرار في لحظة من اللحظات، بوجود اختلاف بين العلامة والمدلول »[21].

كما نجد من جهة أخرى الناقد "**أمبرطو إيكو U Eco** يختلف مع قراءة "**جاك دريدا**" لمفهوم الانفتاحية في **السيميوزيس البيرسية**، حيث ذهب هذا الأخير إلى أنّ « هناك فقرات في كتابات **بيرس** تؤكد إمكان الحديث عن متاهة تأويلية لامتناهية، وإن الخاصية الرئيسية للمتاهة **الهرمسية** هي قدرتها على الانتقال من مدلول إلى آخر، ومن تشابه إلى آخر، ومن رابط إلى آخر دون ضابط أو رقيب...» [22].

إن الطابع الانفتاحي الذي ينتاب **السيميوزيس** - في نظر **إيكو** - لا يعني أن تكون عملية التأويل في النصوص بطريقة مطلقة دون قيود، فـ « هنا لك حدود منطقية للموسوعية ، فلا يمكن الاعتقاد أنها من طبيعية انفتاحية مطلقة، إذ يمكننا فهم هذه الحدود ضمن مفهوم عالم الخطاب ».

يستثمر "**إيكو**" **U. Eco** مفهوم **المؤول النهائي** لدى "**بيرس**"، من أجل تدعيم فكرته، حيث تبيّن أنّ هذا المفهوم يساعد في وضع الحدود، أمام الانفتاح المطلق **للسيميوزيس البيرسية**، وما مفهوم العادة أو الجماعة التواصلية إلاّ دليلا على ذلك، فهي تحدّ من هذا الانفتاح لصالح الأبعاد التواصلية.

يتضح، أنه قد ناقش بطريقة واضحة في كتاب "**حدود التأويل** " في فصل عنونه بـ" **السيميوزيس اللامتناهية والمنحرفة** "، وبيّن التوظيف السيء لمقولات **"بيرس"** في الانفتاح التأويلي مثلما قام به **جاك دريدا**.

يكتشف "**إيكو**" **Eco** ويتساءل : كيف يذهب **دريدا** إلى أن كلّ تأويل ما هو سوى لعب، لا طائل من البحث وراءه عن معنى ما ؟ ولن نناقش هنا كيف « تنتشر الإيحاءات بشكل سرطاني بحيث إننا كلما انتقلنا إلى مستوى أعلى تمّ نسيان مضمون العلامة السابقة، أو تم محوها، فجوهر اللذة التي تخلقها المتاهة تكمن كلية في الانتقال من علامة إلى أخرى، ولا غاية لهذه الرحلة اللولبية بين العلامات والأشياء سوى اللذة ذاتها »[23].

يعدّ **"دريدا"** مؤسس التأويل المتناهي، والفكر التفكيكي هو بمثابة إستراتيجية القراءة، فهو لا يبحث عن الانسجام بل يؤكد عنصر غياب الحدود التي تقف عندها الدلائل. فالنص ينفصل عن ذات التلفظ وسياقه، وعن كل المعايير اللسانية والسيميائية في عملية التأويل. وحسبه إذن « يكون من الضروري في فضاء من هذا القبيل، ألا يكون للكتابة حرفياً أي معنى خصوصاً إذا كانت محمولة على هدي ذاك السؤال إنها فقط تحاول مع نفسها، تمتد وتحاول أن تقف على نقطة أنصار القصدية وأن تغامر في عدم - إرادة - قول - أي شيء معناه الدخول في اللعبة، أي

أولاً في لعبة المغايرة التي تقوم على كون أية كلمة أو مفهوم أو ملفوظ معقول سيكون عاجزاً عن تلخيص الحركة الفضائية النصية للاختلافات انطلاقاً من الحضور اللاهوتي لمركز ما..»[24].

تعتبر لعبة الاختلاف - في نظره - هي التي تحدد الدلالة، فكل علامة في النص تحيل على أخرى في سيرورة لا متناهية من الإحالات، وفي مقابل المعنى الأصلي المقصود من المؤلف، يتبدد النص وينشطر في حركة التشتيت، وتنتج عن لعبة الدوال المفتوحة شبكة لانهائية من الإحالات، ولا تصل إلى نقطة نهائية، و« يوجد مدلول واحد ينجو من لعبة الإحالة، حتى لو استرد نفسه. إنّ وجود الكتابة هو وجود اللعب. والآن يعود اللعب إلى نفسه ماحياً الحد الذي كان يعتقد بإمكان تنظيم حركة الدلائل انطلاقاً منه»[25].

ويربط" **دريدا**" قضية التأويل بفلسفة " ألحضور" ويقصد بها الفلسفة المثالية التي هيمنت على الفكر الغربي، منذ أفلاطون. والحضور يعني حضور الموضوع أمام الذات وفي الوعي، وهو بهذا يتحدى تلك « النصوص التي تبدو وكأنها مرتبطة بمدلول محدد ونهائي وصريح. إنه لا يريد تحدّي معنى النص فحسب، بل يطمح إلى تحدّي ميتافيزيقا الحضور الوثيقة الصلة بمفهوم التأويل القائم على وجود مدلول نهائي وفق هذا التصور، اللغة تندرج ضمن لعبة متنوعة للدوال، فكل دال يرتبط بدال آخر، بحيث أن لا شيء هناك سوى السلسلة الدالة المحكومة بمبدإ اللامتناهي »[26].

يظهر **"إيكو"** في انتقاده للنظرة التفكيكية مدى تطرفهم في مفهومهم للمعنى ويعتقد مبدئياً أن نظرية دريدا متطرفة، راديكالية تحمل بذور فنائها وتناقضاتها، وفتح مجال التأويل بدون غاية الفهم يسقطنا في الذاتية بالضرورة كما هو الحال مع التفكيكة التي ترى النص مفرغاً من المعنى، لأنّ هذا الأخير ما هو إلا حصيلة لعبة ذاتية يقوم بها القارئ.

يخلص "**إيكو** " في قوله : « أعتقد بأن دراسة استكشافية لمفهوم المؤول، تساعدنا كثيراً على تطوير الاختلافات السائدة في البحث. فمهما يكن من أمر، تتواجد فجوات سحيقة بين (تلك) التحليلات المعاصرة والطريقة التي يرصد بها بورس المؤولات من منظور سيميائي خالص. وإذا

لاحظنا بأن التحليلات المعاصرة تنبثق بالضرورة من علم للدلالة يدور على الخطاب الكلامي، فإنّ "**بيرس**" استطاع أن يطوّر سيميائية عامة اتخذت لها موضوع دراسة كل أنماط الأدلة. وبهذا أكون قد برهنت ولو عموماً، على الكيفية التي ساعدتنا بها **نظرية بيرس** لتوسيع التحليلات الدلالية المعاصرة في كنف الظواهر السيميائية العامة، مثل الصورة والحركة »[27].

بهذا يرى "**إيكو**"**Eco** في مقابل التأويل والتفكيك اللامتناهي أن التأويل نشاط سيميائي تحكمه قواعد ومعايير، حيث تكون حركة التأويلات مقيّدة بالقواعد اللسانية والسيميائية للنص، ويجعل من مفهوم الاقتصاد التشاكلي (**Isotopie**) وقصديه النص والمعنى الحرفي كأساس وإستراتيجية تنبني عليها عملية تأويل النصوص.

يعدّ مفهوم **السيميوزيس** المتنفس البديل للنظريات البنيوية التي تحاول فهم العالم بكثافة في قوالب مغلقة وبنى قارة، فلا يمكن استثمار أدواته التفسيرية بسهولة، لأنه على النقيض تماماً من المناهج المغلقة توجد نزعات زئبقية لا تستطيع رؤية العالم اللامنتهية الوصول إلى انعدامية المعنى في حدّ ذاته؛ ما دامت كل محاولة لالتقاط المعنى في هذا العالم تبوء بالفشل.

هكذا تنبني **نظرية بيرس** على مفهوم التأويل الذي يرتبط بعملية الفهم و أساسها بناء الدلالة، وإنّ انفتاح السيميوز على ما لانهاية من العلامات لا يقوم على العشوائية والغموض، لكن هناك شروطاً وحدوداً توقف سيرورتها.

إنّ عملية الفهم تتم عن طريق **الموضوع المباشر**، المقابل للمعنى الحرفي، وتبدأ **سيرورة السيميوزيس** (العلامة) مع **الموضوع الديناميي**، ولكنها تتوقف مع ما يسميه بالمؤول المنطقي النهائي؛ أي العادة، وهذا المفهوم لدى "**بيرس**" يحمل أبعاداً وأهدافاً إجرائية برغماتية، حينما يتعلق الأمر بتغيير المجموعة البشرية، وهذه السيرورة من الإحالات تنتهي بالتدريج إلى إنتاج المعرفة وبالتالي **فنظرية بيرس** ترسم الاستراتيجية العميقة لعملية بناء الدلالة عن طريق الفهم و التأويل.

هوامش البحث:

1. سعيد بنكراد ، السيميائات والتأويل، مدخل لسميائيات ش س بورس، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء 2005، ص 28.
2. جيرار دولودال، السيميائيات أو نظرية العلامات، تر: عبد الرحمان بوعلي، النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء 2005، ص 28.
3. C. S. Peirce. Ecrits sur le signe, éd Seuil, 1978, p 12.
4. المرجع السابق، ص 68.
5. محمد الماكري، الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المغرب، ص39.
6. يراجع، جيرار دولودال، السميائيات أو نظرية العلامات، تر: عبد الرحمان بوعلي، ص 11.
7. C. S. Peirce. Ecrits sur le signe, 1978, p 69.
8. المرجع السابق، ص 69.
9. Toelle Réthoré, la sémiotique phanéroscopique de C.S. Peirce. Langages : 58. P 32.
10. C. S. Peirce. Ecrits sur le signe, 1978, p 70.
11. وللتفصيل أكثر في مقولات الوجود يراجع: طائع الحداوي، سميائيات التأويل - الإنتاج ومنطق الدلائل، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء 2006، ص 256 - 269.

*ونجد ترجمات كثيرة لمصطلح واحد (Représentamen)، المثل، الماثول، المصوّرة، الدليل..

12. يراجع: C.S. Peirce, écrits sur le signe, p 215.
C. S. Peirce. Ecrits sur le signe, p 123.
13. يراجع المرجع نفسه، ص 124.
C. S. Peirce. Ecrits sur le signe, p 51.
14. جيرار دولودال، السيميائيات أو نظرية العلامات، تر: عبد الرحمان بوعلي، ص 97.
15. يراجع المرجع نفسه، ص 97 - 98.
16. سعيد بنكراد ، السيميائيات والتأويل ، ص 31.
17. المرجع السابق ، ص 129.
Umberto Eco : le signe, éd : Labor, Bruxelles, 1988, p 205.
Benveniste Emile : problèmes de linguistique générale ; (II) éd, Gallimard 1974, p 45.
18. إمبرتو إيكو ، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي في العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء 2000، ص 18.
19. المرجع السابق، ص 123.

20. جاك دريدا، مواقع، تر: فريد الزاهي، الدار البيضاء، دار توبقال، الطبعة الأولى 1992، ص ص: 19 - 20.
21. المرجع نفسه، ص.
22. إمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكراد، ص 124 - 125.

Umberto Eco, Peirce et la sémantique contemporaine, traduit par : F. Paraldi, In revue langage ; N° 58, Juin 1980, p 78.

المراجع والمصادر:

1 - أمبرتو إيكو ، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ، ترجمة سعيد بنكراد ، المركز الثقافي في العربي، الطبعة الأولى ، الدار البيضاء 2000

2 - بول ريكور ، من النص إلى التأويل، أبحاث في التأويل. تر: محمد برادة ، حسان بورقيبة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، القاهرة، الطبعة الأولى 2001

3 - جاك دريدا، مواقع، تر: فريد الزاهي، الدار البيضاء، دار توبقال ، الطبعة الأولى 1992.

4 - جيرار دولودال، السيميائيات أو نظرية العلامات، تر: عبد الرحمان بوعلي، النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء 2005

5 - ديفيد جاسير، مقدمة في الهرمنيوطيقا، ترجمة وجيه قانصو، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى 2007

6 - سعيد بنكراد، السيميائات والتأويل مدخل لسميائيات ش س بيرس، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء 2005

7 - طائع الحداوي، سميائيات التأويل - الإنتاج ومنطق الدلائل، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى، الدار البيضاء 2006

8 - محمد الماكري ، الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المغرب،

9 - محمد برادة، حسان بورقية، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001.

10 - هانس غيورغ، غادامير، فلسفة التأويل، تر : محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف ، الجزائر 2006

- المجلات:

1- عمر مهيبل، هانز جورج غادامير، خطاب التأويل، خطاب الحقيقة، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء العربي ، ع: 112 - 113 ، بيروت 2000

2 - محمد شوقي زين، عالمية هرمنيوطيقا جادامير ، تر: كاميليا صبحي، مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب، العدد 59 ، مصر ، ربيع 2002

- المراجع الأجنبية:

1 - Benveniste Emile : problèmes de linguistique générale ; (II) éd, Gallimard 1974

2 - Toelle Réthoré, la sémiotique phanéroscopique de C.S. Peirce. Langages

3 - Umberto Eco : le signe, éd : Labor, Bruxelles, 1988

3 - Umberto Eco, Peirce et la sémantique contemporaine, traduit par : F. Paraldi, In revue langage ; N° 58, Juin 1980